مهدى الحسينى

كنا نقول إن الاتحاد السوفيتى قد انحرف تماماً عن قضية الاشتراكية، فى ظل قيادة خروتشوف. ونرفض أى تأييد لعبد الناصر.
مهدى الحسينى [فى حوار معه]

لست بحاجة إلى أن ابدأ معه من البداية . فالبداية تعرفونها الأب والأسرة وكل هذا معلوم فمهدى هو واحد من كتيبة آل الحسينى : عظيمة ، عادل ، مصطفى مهدى ، هانى . ولهذا قررت أن أختصر المسافة وأبدأ من حيث يريد القارئ أن يعرف ، وها أنا أعيد نشر محضر حوار أجريته معه فى ١٦ أكتوبر ١٩٨٥ .

* * *

س : هل لك أن تروى بعض خبراتك خلال نشاطك الشيوعى فى منظمة طليعة الشعب الديمقراطية ووحدتها مع منظمة وحدة الشيوعيين (و . ش) ؟

جـ : سأبدأ أولاً برؤيتى لمنظمة وحدة الشيوعيين .. وقائدها ومؤسسها إبراهيم فتحى ولكى تعرف حقيقة هذه المنظمة وهذا الرجل يكفى أن أروى لك واقعة قد تبدو طريفة لكنها كافية الدلالة .. فقد كانت وحدة الشيوعيين (و . ش) تصدر نشرة داخلية تنشر مقالات تمثل حواراً عنيفاً بين شخصين كامل وراشد . وفى حديث شخصى لاحق مع إبراهيم فتحى قال لى إن راشد هو نفس كامل وأن أصل المسألة يبدأ من أنه منذ تمرده على قيادة حدتو وتأسيسه منظمة وحدة الشيوعيين وهو طالب صغير السن وكانت المجموعة المحيطة به من مثل مرحلته السنية وكانت بحاجة إلى رمز تقليدى يواجه قيادة حدتو فأخترع لهم قصة وجود قائد شيوعى من الحركة القديمة وله خبرات كبيرة وأنه فى قيادة (و . ش) . وأختار له اسماً وكتب باسمه مقالات ودخل معه فى حوار .. واستمر متورطاً فى هذه الكذبة لفترة .

أما تنظيم وحدة الشيوعيين فاسمه دليل كاف على هويته فهو لا يتوجه إلى الجماهير ليقود نضالها ، وإنما يتوجه إلى الشيوعيين ليوحدهم وهذا فى أحسن الافتراضات .

وشخص آخر التقى به إبراهيم فتحى هو إبراهيم عامر وتلاقيا فى شىء أساسى هو حالة التباهى المبالغ فيها بالمعرفة والثقافة المجردة فاقتنصه ليقدمه على أنه راشد .

أما المجموعة الأخرى فقد كانت تنظيما جنينيا ولم تكن منظمة شيوعية بالمعنى المفهوم، وإنما كانت مجموعة من الكادر يجمعهم معاً الخلاف مع حدتو والخلاف مع الآخرين حول طبيعة الحكم فى مصر .

وكان القائد والمفكر لهذه الجماعة فوزى جرجس ، وكان فوزى جرجس قائداً لتنظيم نواة الحزب الشيوعى المصرى ، رفض وحدة الموحد مختلفاً حول أسباب قيامها والأسس التى تمت عليها وكيفية تمثيل النواة فى قيادة الموحد .

فقد تجاهلت النواة تمثيل القائد والمؤسس (فوزى جرجس) وقدمت إلى ل . م لموحدة ثلاثة غيره (محمود العالم - بهيج نصار - حسين غنيم) . وكان فوزى جرجس يرى أن الوحدة تمت بشكل علوى كاتفاق شكلى بين القادة وتواطؤ بين القيادات . وكان يتشكك فى عملية الوحدة وأنها محاولة لعملية تجميع أكبر عدد من الشيوعيين لتأييد عبد الناصر بلا قيد ولا شرط ، وأن الوحدة يجب أن يسبقها تحليل عميق للواقع المصرى سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

وبعد الخروج من المعتقل إلتقت هذه المجموعة بقيادة فوزى جرجس مع مجموعة من غير الراضين عن التحول السياسى داخل الحركة الشيوعية عامة لصالح المؤسسة العسكرية الحاكمة ، والتأييد المطلق لعبد الناصر وتمجيد الحكم الفردى ، وكونتا تنظيماً جنينياً وتطلب الأمر وقتاً كافياً لوضع خط سياسى وتنظيمى واضح .

ولكن بدأت منظمة وحدة الشيوعيين فى الاتصال بهذه المجموعة وضغطت بشدة من أجل وحدة كل القوى المناوئة لخط حدتو ، بحجة تأسيس تنظيم ثورى حقيقى .

الكوادر الأساسية التى كانت ملتفة حول فوزى جرجس وهى تحديداً : (محمود المناسترلى - حمدى حمدان - حسنى تمام - فوزى محمد على - نجيب سرى - شعبان حافظ - محمود عزمى - مهدى الحسينى - محمود ماجد - نجاتى عزب - محسن الخياط - رمسيس لبيب) .

والعدد ليس كبيراً لكن فيهم نوعيات جيدة .

وضغط بعض هؤلاء وخاصة محمود المناسترلى وحمدى حمدان وحسنى تمام من أجل الوحدة مع و.ش واتفق فوزى جرجس متنازلاً عن موقفه الثابت بضرورة التمسك بشروطه المثالية لأية وحدة ، وجلس الطرفان وكشف فوزى جرجس كل أرواقه وقدم أسماء أعضائه وتم الاتفاق مع إبراهيم فتحى (و . ش) على كل شىء. حتى على اسم التنظيم وكان طليعة الشعب الديمقراطية وفى اللحظة التى تصور فيها الجميع أن اتفاقاً كاملاً ونهائياً قد تم ، هرب العريس فى ليلة الفرح هكذا فعل إبراهيم فتحى بالضبط ، ففجأة وبدون سابق إنذار وفى ذات اليوم المقرر لإعلان الوحدة وتأسيس طليعة الشعب الديمقراطية كانت أسماء ومواقع كل أعضاء مجموعتنا تعلن على المقاهى، فى حين أن فوزى جرجس كان حريصاً على أن يقوم بتكوين جماعة كاملة السرية وحتى عندما كان فى المعتقل لم يعلن أنه كون جماعة وإنما اكتفى بإبداء معارضته لوحدة الموحد .. وتورط فوزى جرجس فى اسم طليعة الشعب الديمقراطية وظل يعمل تحت هذا الاسم .

وهكذا هزمت المعارضة اليسارية لحدتو ، وهزمت عملية معارضه الارتماء فى تأييد عبد الناصر ، وتعطل التنظيم وأصيب كل شىء بالارتباك وكشفت كل الأوراق وعاجلتنا حملة يناير ١٩٥٩ .

وقبض على الغالبية ، وبقى خارج السجن عدد محدود . كان قليل العدد وإن كان شديد الإخلاص والحماس، وما لبثوا أن تساقطوا واحداً بعد الآخر وكان آخرهم رمسيس لبيب.

س : وماذا عن تجربتكم فى السجن ؟

جـ : عدم استكمال الخط السياسى والتنظيمى وعدم تحقيق حضور جماهيرى كاف أدى إلى عزلتنا عن الجماهير ، كما أدى إلى عزلتنا عن كادر الحركة الشيوعية ، كذلك كنا فى السجن معزولين عن مجمل الكادر.. وكانت أفكارنا تميل إلى الفكر الصينى مع بعض التحفظات ، وكنا نرى أن التأميمات ليست من الاشتراكية فى شىء وأنها شكل من أشكال سيطرة المؤسسة العسكرية على مقدرات البلاد ، وتصفية لنواة الاقتصاد الوطنى ، ونرى أن فى تأميم الصحافة محاولة لفرض وجهة نظر السلطة من خلال كوادرها الإعلامية المدربة على جماهير الشعب والسيطرة على عقولها وغسل مخ الشعب لصالح المؤسسة العسكرية .

وكنا نرى فى الاتحاد الاشتراكى مجرد امتداد لهيئة التحرير وجهاز لتصفية الديمقراطية ومحاولة إضفاء مشروعية للأجهزة البوليسية وعملائها فى صيغة تنظيم يدعى الاشتراكية .

وكنا نقول إن الاتحاد السوفييتى فى ظل قيادة خروتشوف قد انحرف تماماً عن قضية الاشتراكية ، وكنا نرفض كل الأطروحات السوفييتية وخاصة أطروحات سيميرنوف وبونيماريوف .

وكنا بطبيعة الحال نتناقض بشكل شبه كامل مع ما كنا نسميه طابور الحركة الشيوعية الرسمية (حدتو - الراية - ع . ف) وأدى هذا طبعاً إلى المزيد من عزلتنا عن الشيوعيين الآخرين فى السجن .

س : وماذا عن مسألة حل التنظيم ؟

جـ : إذا كانت المنظمات الأخرى قد حلت نفسها فإن منظمتنا قد تحللت . فور الخروج من السجن تباعدت العلاقات وكنا نكتفى باللقاء الشخصى الودى ونتساءل ماذا سنفعل؟ وكانت أوضاعنا الشخصية منهارة لا سكن ولا وظائف ولا دخل ولا علاقة فعلية بالواقع المصرى ولا احترام اجتماعى، ولا إمكانيات لعقد صلات فعلية مع الواقع .

وكان الوضع الجبار الذى أشاعه عبد الناصر يخيف الجميع وما لبث فوزى جرجس ومحمود عزمى أن اعتقلا بعد فترة وجيزة (فى عام ١٩٦٥) ولم يفرج عنهما إلا فى يونيو ١٩٦٧ وكان اعتقالا وقائياً يستهدف إخافة الجميع من مجرد التفكير فى بناء تنظيم .

هذا إلى جانب أن مناخ الحل كان مسيطراً على الوجود السياسى الشيوعى فى مصر ، وفقدت الكوادر الثقة فى بعضها البعض .

س : ما تقييمك لشخص فوزى جرجس ؟

جـ : فوزى جرجس فترة السجن الأخيرة أجهزت عليه والحقيقة أنه قد بذل جهداً كبيراً على مدى سنوات عديدة لكنه أحبط فى السنوات الأخيرة .

ويمكن القول أنه لم يكن يصل إلى المدى النهائى فى أفكاره ، كان لا يستكمل أفكاره ولا يكملها ، صفته الأساسية هى روحه الانتقادية لأفكار الآخرين ، لكن ذلك لا ينفى نزعته الإبداعية التى لا تكتمل أبداً ولا تصل إلى مداها ..

ويمكن القول إنه تتلمذ على صبحى وحيده ود. عبد الفتاح القاضى .

كما يمكن القول أنه رجل مخلص ، مثقف انتقادى ، ولكنه بلا نسق فكرى متكامل ولا نسق تنظيمى مؤهل للتوجه للجماهير.